

**أديب العربية
محمد إسعاف النشاشيبي
بين المحافظة والتجديد**

أ.د. حسن عبد الرحمن سلوادي*

* عميد البحث العلمي والدراسات العليا/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين.

ملخص:

يعدُّ أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي من الأعلام البارزين الذين أنجبتهم تربة هذا الوطن في تاريخها الذي لم ينقطع مدده، ولم ينضب عطاؤه في حقبة واحدة من حقبه الحافلة بالعطاء الجم والأحداث الجسام.

والمدقق في آثار النشاشيبي ونتاجه - على قلة ما وصلنا منه - تطالعه شخصية ثرية حافلة متعددة الجوانب والأبعاد، فقد عرفه بنو قومه أديباً ذوّاقاً، وكاتباً بليغاً ومثقفاً، ومحققاً ثبتاً، ومفكراً خصباً ينادي بالإصلاح، في سمو نفس وحرارة إيمان، وعمق في التفكير واستقلال في الرأي.

وربما كان هذا أحد الحوافز التي شجعتني على ولوج عالم هذه الشخصية الثرية، التي أسهم صاحبها بأفكاره وآرائه وتوجيهاته وتأصيلاته النظرية في فتح مغاليق الفكر، ورفد ثقافتنا الفلسطينية وإثرائها، وإبراز معالمها داخل الوطن وخارجه.

وسأحاول من خلال استقراء ما وقع بين يديّ من نتاجه العلمي، وما توافر حوله من دراسات قليلة، وتحليلها أن أجلي بعض مناحي التجديد والحداثة في جهوده الفكرية والتربوية، في تلك الفترة الحاسمة من تاريخنا، التي كانت إرهاباً لما طرأ بعدها من أحداث جسام أثرت - وما زالت - على مستقبل الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة.

Abstract:

Muhammad Is'af An- Nashasheebi is considered one of the prominent Palestinian literary figures. His rich literary production came in one of the important historical periods which witnessed significant events in Palestine. Through examining his works that we could get , An- Nashasheebi emerges as a multidimensional character; he was appreciated as a highly educated writer with fine literary taste and as a thinker calling for reformation and free thinking. Thus, the researcher tried o explain the role of this writer in enriching the Palestinian literature and culture inside and outside Palestine.

The researcher tried to analyze An- Nashasheebi's writings depending on what was available from his literature and through the few studies he could get about the writer and his works. Through this analysis, he tried to illustrate the modern and innovative trends in his literature. and to highlight his educational and linguistic role in a key period of our Palestinian history.

مقدمة:

تشكل الحقبة التي عاشها محمد إسعاف النشاشيبي منذ ولادته عام ١٨٨٢م، وحتى وفاته عام ١٩٤٨م مفصلاً رئيساً في التاريخ الفلسطيني المعاصر، فقد شهد في مطلع شبابه حالة الفوضى والضعف التي سادت الدولة العثمانية، مما أدى إلى هزيمتها على أيدي الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، على الرغم من المحاولات الإصلاحية التي قامت بها، والتي تمثلت بإصدار دستور للسلطنة العثمانية عام ١٩٠٨م يقوم على المساواة العرقية، وتحقيق بعض المطالب العربية.

ونجم عن هذه الهزيمة وقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وشروع السلطات البريطانية في تنفيذ ما ورد في وعد بلفور الذي أصدره وزير خارجيتها، وما تضمنه من بنود وتوصيات، حيث قامت بتدابير مختلفة لتحقيق فكرة إقامة الوطن القومي اليهودي، لعل أبرزها تشجيع الهجرة اليهودية على فلسطين، والتضييق على سكانها العرب الذين كانوا يشكلون عبر القرون الأغلبية الساحقة من سكانها^(١).

وعلى الرغم من المقاومة العنيدة التي أبداهها الشعب الفلسطيني، فقد أثمر التحالف البريطاني الصهيوني عن إقامة الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨م، وتمخض عن ذلك تشريد قطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني، ولجوؤهم إلى البلدان العربية المجاورة، وبخاصة سوريا ولبنان والأردن. وقد فارق إسعاف الحياة بعد أن شهد بلاده تقسم بمشاركة الأمم المتحدة، ورأى مستقبل شعبه يتهدد، فأغمض عينيه قبل أن يرى ذروة المأساة، ولكنه استشعرها منذ بداية الانتداب البريطاني على فلسطين، وطالما حذر من عواقبها، «وهو الألمعي الذي يظن الظن، فيكون كمن رأى وسمع، ولذلك يمكن القول إن عصر إسعاف هو عصر انتقال الحلم الصهيوني من بداياته إلى تحقيقه في الواقع، مع ما رافقه من ظلم وتشريد وتقتيل واقتلاع للفلسطينيين»^(٢).

وأدت التجزئة السياسية للأراضي العربية بعد الحرب العالمية الأولى إلى نشوء حركات وطنية مستقلة، غير أن هذه التجزئة لم تحل - في الوقت نفسه - دون نشوء وعي عربي تحطى خطوط التقسيم الإقليمي، وأدى إلى شعور عربي بالمرارة بسبب نكث دول غربية بوعودها الرسمية للعرب، وبسبب سياساتها تجاه القضايا العربية^(٣)، وضاعف من حدة هذا الشعور وترسيخه، اعتقاد النخب الفكرية والثقافية العربية بأن السيطرة الغربية، ومحاولاتها الدائبة لتغييب الوعي العربي، تشكل العقبة الرئيسة التي تعترض تحقيق الطموحات العربية في الوحدة والحرية والاستقلال.

إسعاف الأديب المحافظ:

لقد شاء الله للأستاذ النشاشيبي أن يعايش غالبية هذه الأحوال والظروف، وأن يصاحب القرن العشرين منذ بداياته، فيشهد ذروة الاتصال بين الشرق والغرب ويرقب انبلاج النهضة العربية والإسلامية، وهي تواجه التحدي الاستعماري في وجهيه السياسي والثقافي.

وقد تفاعل النشاشيبي بفضل منهجه العقلاني مع مشكلة التحدي هذه، فبعد رحلة طويلة جاب فيها مناحي التراث العربي والإسلامي، ووضع يده على كنوزه وإنجازاته الحضارية التي اتسمت خلال مسيرتها الفاعلة في التاريخ بالإيجابية والعالمية، ترسخت قناعاته بأن في الانكباب على القول القديم العتيق - كما قال - «خيراً كثيراً، بل إن فيه كل الخير، بل لا خير إلا فيه»^(٤). إن التراث - حسب قوله - يحوي عناصر أصيلة صالحة للاستلهام، وهي كفيلة بجعل هذه الأمة تخطو على درب النهضة بأسرع مما صنع الآخرون. ولهذا رأى أن الواجب يحتم علينا أن ننمي هذا التراث، وأن نصوغه صياغة جديدة لأبنائنا، وأن نشوقهم إلى التعلق به وممارسته، وأن نحيي شواهد، لتكون نماذج حيّة للأجيال المقبلة^(٥).

وكان النشاشيبي في هذا المنحى قدوة يحتذى بها، ومثلاً أعلى يؤتم به، وقد غاص منذ مطلع شبابه في بطون أوابد كتب التراث^(٦)، وعكف عليها دون سواها وقرأها قراءة متفحص مدقق، وعاشر أصحابها دهره ما رضي عنهم بديلاً، وحرص على محاكاتهم، والنسج على منوالهم، بل راض نفسه على أن يكون من طبقة أولئك الرواد الأفذاذ، وظل قرابة أربعين سنة ونيّف يكتب مهتدياً بهديهم، مؤتماً بإمامتهم، وما كانت كتاباته لتصدر إلا بعد مخاض عسير، فقد كان «يقضي ساعات في كتابة رسالة يجود ما وسعه التجويد، ويؤنق ما وسعه التأنيق، ولا عجب بعد هذا أن تفرّد بأسلوب أنيق محكم ذي ألفاظ متينة متأخية، ونسيج قوي يستشعر قارئه أنه من مكنون صدره، وذوب فواده، ورهيف أحاسيسه ومشاعره»^(٧).

من أجل ذلك عُرف النشاشيبي بين معاصريه بأنه تقليدي محافظ، واتهمه بعضهم بالتقعيد والتقعير والانخراط في جملة المقلدين الجامدين الذين يعزلون أنفسهم عن المجتمع، ويضعون بينهم وبينه حجاباً كثيفاً، يجعلهم بمنأى عن همومه ومشكلاته، وطموح أبنائه للتغيير والتطوير ومجاراته العصر. وشاهد هذا التقعيد ماثلة فيما اختاره إسعاف في كتاباته من ألفاظ التقطها من المعاجم لا من حياة الناس، مدفوعاً بعزلته عنهم واستعلائه عليهم، مما أضفى عليها قالباً من الغرابة والتكلف والمغالاة في حب القديم.

وقد أجمل أمين الريحاني آراء المعترضين على أسلوب النشاشيبي في عبارات موجزة، وجَّهها إليه بمناسبة صدور كتابه (كلمة في اللغة العربية) حيث قال: «إن هذا الأسلوب في الأدب مثل ذلك البدوي في الحياة. هو مظهر عجيب يسترعي الأنظار، فيدهش ويطرب ويحزن معاً ولماذا؟! لأنه زائل. أحببت البدوي (والله)، وكنت معجباً به، ولكني لا أستطيع، ولا أحب أن أكون مثله، وأحببت كلمتك، وكنت - وأنا أطالعها - معجباً بها، ولكني لا أستطيع، ولا أحب أن أكتب مثلها، ولا أظن أن هذا الأسلوب - أسلوبك - يكون مألوفاً أو معروفاً بعد خمسين سنة، والحكم للمستقبل، فقد يحكم عليّ وعليك معاً، ولكننا في غير الأسلوب متفقان»^(٨).

ويبدو أن النشاشيبي كان موقناً - على ما يبدو - بأن ما قام به عين التجديد لا التقليد، وقد رد عن نفسه تهمة التقليد في رده على الريحاني حيث قال: «قد ألقى الكاتب العظيم من المتقدمين، فلا يسيطر علي، ولا أمشي وراءه، وله قوته وطريقته، ولي ضعفي وطريقيتي»^(٩). وقال أيضاً في رده ودفاعه عن نهجه في الكتابة والتأليف: «فلست إذن مقلداً في القول أحداً، وإنما هي ألفاظ عربية مضرية عرفتتها، وأسلوب عربي بين عقلته، وتلك جاءت، ثم كلام هو ذوب روحي، وابن نفسي وخليقتي وطريقيتي»^(١٠).

وأردف النشاشيبي قائلاً: «وما هذه الألفاظ التي يطلبها مكانها ويحسبها بعض الناس غريبة - وما هي غريبة وما تشبه الغريب - إلا ألفاظ مضرية لا حميرية ولا يمانية، وليست من ألفاظ حضرموت أو الشحر. فلا تذمنها يا أبا العرب، واعرضها على السمع لا يمجها، وحرك بها اللسان فهو لا يستثقلها، وما غرَّبَ مثلها إلا تهقراً أمة: القارئ في بدوها وحضرها في الألف واحد»^(١١).

ولعل النشاشيبي - كما يتضح من عباراته الأخيرة - كان مدركاً لأبعاد العلاقة الجدلية بين نهضة الأمم وارتقائها من جهة، وبين عودتها إلى تراثها من جهة أخرى، فهو يعتقد أنه بعكوفه على تراث أمته، واستلهامه إياه في محاولاته الإبداعية، إنما يساهم في بعث النهضة في مجتمع ران عليه الجمود والانغلاق لقرون عدة خلت. وقد طرح النشاشيبي في رده على من يسمون دعاة التجديد قائلاً: «ماذا يرى المتسمون بالمتجددين أو المجددين، وفي أي سبيل يهونون المسير؟ ألا يرون معي أن نقلب إلى القديم فيجود القول ويستقيم، وتوَّخَى الوحدة العربية بصون الأساليب العربية، وتترجل الأمة وتتفحل من بعد خنثها وتأنثها باستظهار الكلام الفحل الجزل، ويتهدب ذوقها بمؤالفة الأقوال المهذبة المتنقاة، وتكون هذه الأمم العربية في الوجود شيئاً مذكوراً»^(١٢).

وقد لحظ أحد الباحثين أن هذه الظاهرة ليست حكراً على أمة العرب، وإنما هي ظاهرة عامة وملموسة عند أية أمة تهفو إلى الصعود في مدارج التقدم والنهضة والرقي، يقول إبراهيم العلم: «على أن من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن أية نهضة في العالم كانت تعود إلى ماضيها المشرق، وهكذا عادت أوروبا في عهد نهضتها إلى أدب اليونان والرومان وفكرهم، ولا شك في أن إحياء اللغة العربية جزء لا ينفصل من النهضة العربية المنشودة» (١٣).

وقد سبق لإسعاف أن أكد هذه الحقيقة حين قال: «الانتباه الأدبي في الأمم يسبق الانتباه العلمي، فهذا بناء وذاك أساس» (١٤). من هنا اقتترنت حركة التجديد في الأدب - وفقاً لرأي الدكتور العلم - بإحياء اللغة وبالعودة إلى عهود الأدب العربي الزاهرة في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، فلا غرو أن ترى جلّ الرواد الذين قادوا الحركة الأدبية في فلسطين ذوي اتجاه تقليدي، إذ مالوا إلى المحافظة في التعبير في سياق الألفاظ والتراكيب.

ولم يكن إسعاف - في الحقيقة - بالصورة التي رسمها له معاصروه، وإنما كان جامعاً بين القديم والجديد، موفقاً بين الماضي والحاضر، ملائماً بين الأمس واليوم، حتى استوى فيه مزاج غريب خاص، يجمع بين العاطفة للقديم والتقبل والتفطن للجديد إن توافرت فيه مقاييس الجودة، « فليس كل جديد ينجم في الدنيا - كما قال - بجيد، وما كل قديم بضارّه قدمه، ولا يرضى الحكيم عن الجديد إلا إذا جاد، والجيد لا يُرفض بل يُستجاد، ويُحرص عليه وما نبذنا الجديد - وإن قال الشاعر القديم، أعني الحطيئة لكل جديد لذة - لجدته، لكن لفقدان جودته، فاغدُ علينا بالجديد الجيد نتقبله» (١٥).

وهكذا يتضح أن النشاط الشببي لم يكن متقعرًا جامدًا أو متحفظًا على قوالب الأقدمين وموضوعاتهم، بل عالج العديد من القضايا الأدبية واللغوية والدينية والتربوية والثقافية مضمناً كتاباته وآراءه في الموضوعات التي كانت مطروحة في عصره، وفيها لم ينعزل عن قضايا شعبه ومجتمعه، إذ كان البعد الاجتماعي والبعد الأدبي يلتقيان في نسق واحد يظل خلاله وعي أديبنا حاضرًا يقظاً (١٦).

وقد امتزجت في معالجاته لهذه الموضوعات إشراقة الفكر بحرارة الحس، وفوران العاطفة حيال ما يتعرض له وطنه من مخاطر تهدد مستقبله ووجوده المتجذر منذ فجر التاريخ في أرض أباته وأجداده. وسأتناول بإيجاز جوانب التجديد في فكر النشاط الشببي من خلال الحديث عن مجالين رئيسيين يكمل أحدهما الآخر، وهما: الجانب التربوي والجانب الفكري، وبخاصة موقفه من مشكلات الحضارة التي عاصرها وعاشها وتجنبت الحديث عن تجديده وإبداعه اللغوي والأدبي لكثرة من كتبوا فيه وتناولوه.

التجديد في فكر النشاشيبي:

أولاً. إسعاف المربي:

لم يتلق إسعاف في حياته دروساً في المناهج والأساليب التربوية في جامعة أو معهد تربوي، ولم يزاوِل مهنة التدريس سوى فترة يسيرة من عمره، فقد اندمج في سلك التدريس لأول مرة في حياته مدرساً لفترة قليلة في الكلية الصلاحية في بيت المقدس في أثناء الحرب العالمية الأولى، ودرّس العربية لفترة وجيزة، في المدرسة الرشيدية في بيت المقدس في بدء الاحتلال البريطاني ومع ذلك فقد غادر في تلاميذه أثراً لا يُمحى، وترك في نفوسهم بصمات تربوية رائدة كان لها تأثير مباشر في صقل شخصياتهم، وتنمية مداركهم، وإطلاعهم على الجوانب المضيئة من حضارة أمتهم وقيمها الأخلاقية الرفيعة.

وقد عزا الدكتور إسحاق موسى الحسيني - وكان قد تتلمذ على يديه في سنيّ دراسته الأولى - هذه الظاهرة الفريدة إلى أربعة أسباب: «الأول: شخصيته الفذة وتضلعه في علوم اللغة والأدب على الرغم من أنه لم يتلق في حياته تعليماً عالياً بانتظام، بل حصله بجدّه، وعلى طريقته الخاصة، والثاني: ممارسته المنقطعة النظير للعربية وما يتصل بها من علم اللغة والآداب والمعارف، والثالث: تعمقه في درس اللغة، أدباً وقواعد، هوى وطبعاً، لا صنعة وتكلفاً، ولذلك لم يسر على منهج معين، ولم يتقيد ببرنامج موضوع. والرابع: حسن اختياره النصوص الأدبية شعراً ونثراً، ووضعها بين أيدي طلابه مع إغرائهم بفهمها واستظهارها» (١٧).

ونضيف إلى ما ذكره أستاذنا الحسيني سبباً خامساً هو انتماؤه العميق إلى شقيقته وعروبته وغيّرتة ومحبته وإخلاصه لدينه ووطنه ولغته العربية، فقد كان يهتبل أية فرصة تلوح له ليعبر عن أحاسيسه الوطنية الصادقة ومشاعره الدينية، حاثاً أبناء وطنه على الصمود ومقارعة العدو الغاصب، وكانت قضية وطنه المهّدّد بالاستلاب قد ملكت عليه لبّه، وسيطرت على كيانه فشغل بها، وكانت هاجسه الذي أرّقه طوال حياته، وصدر إسعاف في كل ما كتب وأملى عن وعي عميق وإحاطة شاملة وبصيرة نافذة وقدرة تحليلية فائقة على التنبؤ والاستنتاج، واستكناه آفاق الصراع ونتائجها. وهي قدرة لا يملكها سوى الموهوبين والقادة الملهمين (١٨).

وكان إسعاف أحد أولئك القادة، فحذّر وأنذر ونبه أبناء وطنه إلى المخاطر التي تتهددهم، مع أن هذه المخاطر كانت في بواكيرها، ولم تتضح معالمها بعد، فقد نشرت له مجلة (النفائس) عام ١٩١٠م قصيدة في سبعة وعشرين (٢٧) بيتاً بعنوان: (فلسطين

والاستعمار الأجنبي) تنبأ فيها بمصير البلاد، مع أن الحكم كان ما يزال بيد العثمانيين لا الإنجليز، وقصيدته خليقة بالتأمل من هذا الجانب، ولاسيما قوله فيها:

إن الاستعمارَ قد جازَ المدى دون أن يعدوه عن سيرِ عداءِ
 إن هذا الداءَ قد أمسى عيَاءَ فتلافوه سريعاً بالدواءِ
 فاعلموا يا قومُ إن لم تعلموا أن عقباكم هلاكٌ وفناءُ
 واهجدوا بالله من رقدتكم وأرفعوا عن أعينكم هذا الغشاء^(١٩)

وأمل الناشبي حين عينته سلطات الانتداب مفتشاً عاماً للغة العربية أن ينجح في مهمة تنظيم المدارس، وفي إصلاح نظام التعليم فيها، وترقية تدريس اللغة العربية وأدائها بوضع منهاج قوي يؤدي هذا الغرض، وقد حاول جاهداً أن ينهض بهذه المهمة الجليلة غير أن عمله في المجال التربوي كان محكوماً بعاملين حداً من طموحاته، ودفعاه في نهاية المطاف إلى الاستقالة من عمله، وأول هذين العاملين: أن التعليم في فلسطين أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين كان لا يساعد على النهضة الثقافية والعلمية، لأن البلاد كانت تغرق في ظلمات الجهل والتخلف العلمي والثقافي، وكان الناس بعيدين عن مظاهر التطور التقني، والمدنية وعلومها الحديثة التي كانت تعج بها أوروبا في ذلك الوقت^(٢٠)، وكان الشرق يغط في نوم عميق، وتحيط به أسوار العزلة التي لا تساعد على يقظته من سباته ونهوضه من كبوته، واستمرت هذه الأوضاع المزرية في عهد الانتداب البريطاني، على الرغم من بعض المحاولات التجميلية اليسيرة التي قامت بها سلطات الانتداب لتحسين أوضاع التعليم والنهوض بها.

وثاني هذين العاملين السياسة التعليمية الجائرة التي اتبعتها دائرة المعارف البريطانية في حقل التعليم العربي، ففي حين أعطت المجلس الملي اليهودي صلاحيات واسعة وحرية كاملة في البرامج التي يعتمدها لتعليم المهاجرين والمستوطنين اليهود، فإنها وضعت سلسلة من القيود والضوابط التي تحد من حرية التعليم في القطاع العربي، ولهذا كانت محاولات الناشبي الإبداعية والإصلاحية في المجال التربوي، تصطدم غالباً بالنظم التي صُممت أساساً لمصلحة السياسة التي تضررها حكومة الانتداب، كما أن الخلافات الكبيرة الناشئة في إدارة المعارف كانت تصدر عن أمزجة متناقضة، جعلت الانشغال بهذه الخلافات أمراً لا مفرّ منه، ولو على حساب التربية والمبادئ التربوية، ووضعها موضع التنفيذ في الحياة المدرسية^(٢١).

ولم يمنع ذلك كله الناشبي من تحقيق بعض ما كان يصبو إليه، فقد أسعفه تضلعه بالعربية، وإيمانه العميق بأن التربية الجيدة تكمن في الأدب الجيد، وأن المنهج النصي، بمعنى اعتماد النص والتعاطي معه من طرف المعلم عرضاً وتعليقاً وفهماً ومنطلقاً

لتدريس سائر فروع اللغة من أدب ونقد وبلاغة، يشكل مدخلاً رئيساً لتعليم النشء و تثقيفه، ساعده ذلك كله في اختيار مجموعتين ضمنهما أجود ما وقعت عليه يده من النصوص الشعرية والنثرية، وأطلق على المجموعة الأولى اسم: (مجموعة النشاشيبي)، وخصصها لطلبة المستوى الثانوي، وأطلق على الثانية اسم: (البستان)، وخصصها لطلبة المستوى الابتدائي، وتجلّى في المجموعتين ثقافته العربية الأصيلة وذوقه الرفيع، ورهافة حسه وتوجهه القومي والوطني.

ومن بين الأهداف التي سعى النشاشيبي لتحقيقها من اختياره نصوص هاتين المجموعتين: إبراز محاسن اللغة العربية وآدابها، وتألق صورها الجليّة المشرقة، لتراها الأجيال العربية، وتنهل من معينها العذب، وتتأدّب بأدبها الرفيع، ومعانيها السامية، وتتغذى بثمارها الطيبة الحلوة، وتتأثر ببلاغتها وقوة بيانها. يقول النشاشيبي في فاتحة المجموعة الأولى: « جمعت هذه الأقوال لبريوتها نشء العرب فيهدتوا بهاها»^(٢٢)، وكذلك كان من أهدافه تربية الروح القومية في نفوس التلاميذ، وتمرين أسنتهم وأقلامهم على البيان الفصيح، وغرس الأخلاق والقيم العليا في نفوسهم^(٢٣).

ولم تكن جهود النشاشيبي التربوية قاصرة على وطنه فلسطين فحسب، بل امتدت لتشمل العديد من الأقطار العربية الشقيقة، فحين عرضت وزارة التربية والتعليم المصرية مقترحاً لتيسير النحو العربي، لم يسع النشاشيبي إلا أن يدلي بدلوه في هذه المسألة التي دار حولها جدل واسع في أوساط المثقفين والمربين المصريين، وقد عارض النشاشيبي ما ورد في مقترح الوزارة، ونشر ردوده على صفحات مجلة الرسالة القاهرية، وأكد فيها أن المشكلة إنما تكمن في المعلم والكتاب، وليس في اللغة وبنيتها: نحواً و صرفاً أو بلاغة. يقول: « العربية هي كسائر اللغات، وليست بأصعبهن، وإنَّ نحوها - وإن لطف دقائقه وجلت حقائقه - إلا كنعوهن، وليست المشكلة في صعوبة اللغة أو سهولتها، ولا في قاعدتها، وإنما هي في المعلم والكتاب. فهما اللذان يسهلان ويصعبان، وهما اللذان يهديان ويضلان، وهما اللذان يحببان إلى الفتى أو يُكرهان، فالمعضلة كل المعضلة هي في المعلم وعلمه وتعليمه، وكتاب كل صف من الصفوف وتبويبه وتبيينه»^(٢٤).

ويضيف النشاشيبي محذراً من المسّ بقواعد اللغة أو تغييرها، فيقول: « ومن ظن أو أيقن أن تقريب العربية أو تسهيلها هو في تهديم قواعد فيها - مهوَّس يهذي، أو موسوس يلغو، وليست اللغة العربية ملك كاتب أو كويتب، أو أديب أو أدیب، أو عالم أو عويلم حتى يتصرف فيها تصرف المستملكين. كلا ثم كلا»^(٢٥).

ولا يعني هذا - في رأيه- أن اللغة تبقى على الدهر جامدة دون تغيير أو تطوير، فاللغات في المشارق والمغرب «إنما يُقدّم فيها ويؤخّر، ويُلغى ويُعلّق، ويُنقص أو يزيد، ويحيا أو يبديد، فإنه لا يفعل ذلك إلا الاحتياج الطبيعي أو الانتخاب الطبيعي، وإلا الدهر، لا اللاعب العابت ولا الجاهل الغرّ، ولقد كان التبديل الطبيعي في هذا اللسان في كل عصر، ولو استمرت تلك المدنية، ولولا التتر والصليبيون المخربون في الشرق، والفرنج الجاهلون المدمرون في الأندلس وفي المغرب، لرأت الدنيا من ارتقاء العربية كل عجيبة»^(٢٦).

وكتب النشاشيبي، لتأكيد فكرته حول دور الانتخاب الطبيعي في تطوير اللغات وصلقلها وتهذيبها وإثرائها، والتي استمدها على ما يبدو من نظرية (دارون) في النشوء والارتقاء، سلسلة مقالات بعنوان «اللغة ماشية مع الزمن»، ركز فيها على فكرة التوليد والاشتقاق والتعريب التي تسعف أصحاب اللغة بتلبية احتياجاتهم في إيجاد الألفاظ المعبرة عن حضارتهم وما يستجد من علوم وفنون، وهو ما أطلق عليه اسم الانتخاب الصناعي أو الصناعي حسب تعبيره، وهو بذلك يفند أقاويل من ذهبوا بعدم قدرة اللغة على الوفاء بمتطلبات العصر، ومن دعوا إلى استبدالها باللغة العامية، أو استبدال حروفها بالحروف اللاتينية، أو استبدالها بالفرعونية في القطر المصري، وهي دعوات صادرة- حسب رأي النشاشيبي- عن دوائر استعمارية جعلت على رأس أهدافها تقويض الأمة بتقويض لغتها، ولاسيما في المجال التعليمي بمستوياته المختلفة. وقد كرس النشاشيبي جل عنايته واهتمامه لدحض مثل هذه المفتريات والدعوات الهدامة، وتقنيدها وتعرية أهدافها، وبيان مخاطرها، فنبه في غير موضع من كتاباته على أن «اللغة العربية هي الأمة والأمة هي اللغة، وضعف الأولى ضعف الثانية، وهلاك الثانية هلاك الأولى، وكل قبيل حريص جد حريص على أن يستمر كونه على الأبيد، فهو مستمسك بلغته للاحتفاظ بكيونته، واللغة ميراث أورثه الآباء الابناء، وأحزُم الوراث صائِن ما ورث، وأسفهم في الدنيا مضيع»^(٢٧).

ومن هنا جاءت دعوته إلى ترقية التدريس باللغة العربية، والوفاء بحقها في التجديد، والأمران منوطان- كما ذكر في خطبة له بعنوان: (العربية في المدرسة)، ألقاها في مؤتمر رؤساء المدارس في معارف فلسطين في الثاني من نيسان سنة ١٩٢٧م- بالمدرس والكتاب: «مدرس يتقن الفصحى، كما تجلّت في عصور ازدهارها، ويستخدمها في مواقفه التعليمية كافة، وكتاب يتيح للطلبة الاطلاع على كنوز التراث وفرائده وذخائره النفيسة، وبذلك تستعيد العربية سابق عزها ومجدها، وتؤدي رسالتها في نهضة الأمة ورفقيها، على الرغم من كل حملات الطعن والتشويه والتشكيك التي تتعرض لها من أعدائها والمنائين لها من مستعمرين ومفرنجين منكرين لتاريخهم وتراثهم العربي والإسلامي»^(٢٨).

إسعاف ومشكلات الحضارة:

كتب الأستاذ عجاج نويهض ذات يوم في صحيفته التي كانت تصدر في القدس عنواناً عريضاً يتعلق بسفر المندوب السامي البريطاني، ومغادرته القدس إلى بريطانيا، وكان العنوان بالصيغة الآتية: (مندوبنا إلى لندن)، فاتصل به إسعاف على الفور وكانت تربطه به صداقة متينة، وقال له مستنكراً: أستاذ عجاج... مرحباً. هل تقول مندوبنا؟؟ ... نا؟ ... نا؟ ... نا؟ - نو... نو... No، وأغلق الهاتف مغضباً^(٢٩).

والخبر على بساطته لا يخلو من دلالات تكشف لنا بعض الملامح من شخصية إسعاف. فالرجل - كما يبدو - لم يعزل نفسه عن قضايا الوطن وهموم الأمة، ولم يقف منها موقف المحايد أو اللامبالي، بل عاشها وتفاعل معها، بغض النظر عن حجمها أو مبلغ تأثيرها.

ومضمون الخبر يثير لدى القارئ العديد من التساؤلات والاستفسارات، فهل ينسحب موقفه الرافض للاحتلال البريطاني الذي أوحى به عباراته على مجمل مواقفه من الحضارة الغربية والتمدن الغربي؟ وهل تقتضي تهمة (المحافظة) التي يلصقها به خصومه أن يقف من هذه الحضارة موقف الطاعن المعادي، أو على الأقل موقف المتوجس الحذر؟

وكمدخل للإجابة عن هذين السؤالين، أشير إلى عبارة وردت في كتاب (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) لخير الدين التونسي يقول فيها: «إن التمدن الأوروبي تدفق سيله في الأرض، فلا يعارضه شيء إلا إذا استأصلته قوة تيار المتتابع، فيخشى على الممالك المجاورة لأوروبا من ذلك التيار، إلا إذا حذوا حذوه، وجروا مجراه في التنظيمات الدنيوية فيمكن نجاتهم من الغرق»^(٣٠).

بهذه العبارة يضعنا خير الدين التونسي وجهاً لوجه أمام إشكالية التحدي الذي واجهته أمتنا في النصف الأخير من القرن الماضي، حين أصبح الاجتياح الأوروبي حقيقة تمس الواقع، وتبعث على الجدل في مختلف الأصعدة^(٣١). فالتمدن الذي رافق هذا الاجتياح، إنما هو قوة متنامية مطردة، اكتسحت أمامها كل شيء حتى كياننا الإنساني ذاته، وشكلت بنموها وأساليبها وتقنياتها وعدوانيتها أيضاً تحدياً خطراً ليس علينا الآن فقط، ولكن على ماضينا ومستقبلنا أيضاً، ولئن دل ذلك على شيء، فعلى أن المواقف في مواجهة العصر الحديث لم تتحسم بعد في صورة نهائية، وما زال الفكر الإسلامي يعيش أزمة التكيف مع العالم الحديث والتعامل معه، وبخاصة بعد الاختراق الداخلي من قبل النمط الحضاري الغربي في كثير من مجالات الحياة وأنماط المعيشة^(٣٢).

وقد تفاعل النشاشيبي بفضل منهجه العلمي العقلاني مع مشكلة التحدي هذه، فإذا عين له في مقتبل الشباب على كتاب يقرأه في تعليمه المدرسي، وعين له أخرى على ركود المجتمع الراجح تحت وطأة الاستعمار ووسائله المدمرة.

وتجذب هذه الإشكالية النشاشيبي إلى حلبتها، فإذا هو يضيف إلى جانب اهتماماته الأدبية واللغوية مجالاً فكرياً خصباً وأصيلاً بحث من خلاله عن سبل فعالة لتنظيم في إطارها الوسائل والإمكانات الكفيلة برقي العالم الإسلامي ونهوضه من كبوته، بعد أن تسوّرت الأمم وتداعت عليه كما تداعى الأكلة على قصعتها.

ويصح القول إن مواقف النشاشيبي وآراءه في هذه المرحلة عكست بصدق الأجواء النفسية والاجتماعية التي كان المثقفون في فترة العشرينيات والثلاثينيات، وما بعدها يتحركون في إطارها، وبخاصة بعد أن بلغت الحضارة الحالية درجة من العموم لم تبلغها أية حضارة من قبل، حتى إنها لم تعد في نظر الكثيرين ملكاً للغرب فحسب، وإنما هي إرث مشترك بين شعوب العالم قاطبة^(٣٣).

ومن هذا المنطلق يرفض النشاشيبي نسبة الحضارة الغربية إلى الغرب، مؤكداً أن هذه الحضارة إنما هي تراث إنساني اشتركت فيه جميع العقول، وشارك فيه المسلمون بالذات مشاركة كبيرة. فالعالم الغربي - كما قال - مدين بما يملكه الآن من تقدم في مجالات العلوم والفنون وأساليب الحياة الاجتماعية والمعيشة إلى الحضارة العربية الإسلامية، ويعبر عن هذه الحقيقة بقوله: «محمد والعرب والمسلمون هم هداة العالمين، وإن نُوبَ الغربيون اليوم في العلم والمدنية، فأنطقوا الجماد وبهروا وسحروا بما ابتدعوا أعين الناظرين وسمع السامعين، فالفضل للمتقدمين والسابقين الأولين، ولولا المسلمون ما علم الجاهلون، فلا يتيهنُّ على مرشديهم متغطرسين»^(٣٤). ويقرر بعد ذلك بحزم: «لولا محمد والعرب والمسلمون ما تقدم في الدهر الغربيون»^(٣٥). وليس فيما قاله إسعاف غرابة لسبب واحد هو أن التلاقح الحضاري، أو ما يمكن تسميته بالسيولة الحضارية أقوى من الحواجز الطبيعية والفوارق السياسية والاقتصادية فضلاً عن أنه عامل ضروري له أهمية كبيرة في حركة التاريخ وتطور الحضارة^(٣٦).

وهكذا أصبح الاقتراض من الغرب عند النشاشيبي وغيره من الإصلاحيين مجرد استرداد لما أعطي إليه سابقاً، وقد فتح هذا التسويغ إلى حد ما طريق الأمل بالمستقبل، فكما أن أوروبا استطاعت أن تأخذ العلوم من المسلمين، وتؤسس عليها حضارتها وتمدنها، فإن بإمكاننا بل الأجدر بنا أن نعود إلى ما كان لنا ونستعيده منها، ولن يتم ذلك إلا إذا عدنا إلى ديننا وتسلحنا بالعلم الذي انبعث به أسلافنا.

ويكاد غالبية المفكرين العرب المسلمين منذ بداية عصر النهضة يتفقون حول هذه النقطة التي أصبحت محور الأيدولوجية الإصلاحية الإسلامية فيما بعد.

وعلى رأي أحد الباحثين المحدثين: إن هذه المقولة قد حققت فائدتين على جانب كبير من الأهمية: فمن ناحية بررت الاستعارة من الغرب، ومنحتها قسطاً كبيراً من المشروعية، ومن ناحية ثانية لطفّت الشعور بالنقص الذي أحسّ به المسلمون تجاه تفوق أوروبا في الثقافة والقوة^(٣٧).

وأياً ما كان الأمر، فإن النشاشيبي كان مقتنعاً - كما يبدو - من خلال مؤلفاته وأقواله بأهمية الاستعارة والاسترشاد بكل تيارات الفكر الإنساني، بل كان متحمساً لها باعتبارها إحدى الوسائل الأساسية للنهوض بالأمة العربية، وتجديد شباب الإسلام، ووجد النشاشيبي مسوغاً مشروعاً لهذه الاستعارة في تجربة تاريخية سابقة، حين أقبل رواد الحضارة العربية على كنوز الإغريق، وأفادوا منها وزادوا عليها في تلاحق فريد بين الحضارات البشرية، يقول النشاشيبي في رسالة له بعنوان: (قلب عربي وعقل أوروبي) نشرها في عام ١٩٢٢م: « فالعربية ربة مدنية، فإنها لما ظننت عن جزيرتها لاقت في طريقها المدنية الإغريقية، فما صعرت عنها خدها، ولا تعبّست، وما أدلت بفضيلتها (وإنها لذات فضيلة)، واستيقنت بأنها أعلى منها، فأطالت الجثوم بين يديها وحدثت عنها»^(٣٨)

وينتقل النشاشيبي بعد ذلك إلى بيان مآثر المدينة الغربية ويعدها بالتفصيل، وكأنه يتمنى أن يحذو أبناء العروبة حذوها، ويسيروا على هديها، يقول: « والمدينة الغربية ذات تعاجيب، فهناك النظام تصحبه الهيبة، وهناك العلم قد وافقته الحقيقة، وهناك الفن إن رآه الرائي بهت، واقصد باريس تر الدنيا، وهناك الجلد الجرمانى في العمل والبحث والتدقيق، وهناك الابتداع يتبعه ابتداع يليه ابتداع، وهناك الوطنية تعلم جاهلها كيف تكون، وهناك الحرية اشترت بغالي الثمن، وهناك الاقتصاد وهو عماد ذاك الصرح، وهناك الوجود في سبيل الخير والعلم، وهناك الجامعات النيرات، وهناك السعي الأمريكي والعصامية، وهناك الخلق السكسوني»^(٣٩).

والمتمعن لما عدّه النشاشيبي من مآثر المدنية الغربية، لا يخالجه شك أنه مطلع عن كتب على ما حققته من إنجازات في مختلف مناحي الحياة، وأنه ليس غريباً عنها بعقله ووجدانه، فهو يتحدث عنها كما لو كان يعيش دهره بين أبنائها، ويفصل فيها القول معجباً بما حققته من خير للبشرية قاطبة، وإعجابه هذا لا يتعارض مع كرهه للإمبرالية الغربية المتمثلة في بريطانيا، فالعلم والحضارة شيء، وما تمارسه السياسة الاستعمارية شيء آخر، فإذا توافر الخير كل الخير في الأولى، فإن الثانية مثال صارخ للشر والعسف

والطغيان، ولهذا لم يتردد النشاشيبي في تعرية النزعة الإمبريالية لدى الغربيين، وحثّ بني قومه على مواجهتها، يقول: «أيها الغربيون، ارجعوا إلى بلادكم مذمومين مدحورين، انقلبوا إلى دياركم خائبين مقهورين أيها الغربيون علمكم نور الدين وصلاح الدين ما لم تكونوا تعلمون، علماءكم المروءة والوفاء ومكارم الأخلاق والعدل، وأن تكونوا متمدنين مهذبين، لكنكم تلاميذ، ألفيناكم بعد قرون - أرى الله بكم - جهالاً أغماراً غير كرام، غير مهذبين»^(٤٠).

وعبر إسعاف عن مقتته الشديد للاستعمار الغربي، وكراهته له بعدما اتضحت نواياه، وخالفت أفعاله ما أشيع عنه من تسامح وتقدم، وتعلق بالحرية والديموقراطية وحقوق الانسان، وبعدهما عمّت شروره وآثامه بلاد العرب والمسلمين، ولا سيما وطنه فلسطين، يقول في خطبته التي ألقاها في ذكرى معركة حطين: «نور الدين، صلاح الدين إن القوم قد عادوا وأعادوها بعد عصور جذعة. النبي، غورو، قد أتاننا ما قلتما، قد فهمناه، قد عقلناه، إنها لم تنته، إنها لم تنته أيها الغربيون. هذي بلادنا، هذي ديارنا، زايلا بلادنا، غادروا بلادنا. إنا لكم ولجوهكم (شاهت وجوهكم لا حياها الله وجوهاً) ، ولمدينتكم الكاذبة المزورة، ولظلمكم وجوركم ولانتقامكم من القالين، من المبغضين، من المنكرين، من الجاحدين، من الكافرين»^(٤١).

ومع إشهار عداوته للنزعة الاستعمارية، فإن إسعاف يقر بأن الغرب موئل للعلم والحضارة، وأنه ارتقى القمة بسلوكه هذا السبيل، فلا مناص لنا من السير على هديه، والإفادة مما أنجزه، ولهذا نراه يدعو أهله وبني قومه للإقبال على العلم الإفرنجي والحضارة الغربية، كيما لا يبقوا لأهل الغرب تابعين مستعبدين، يقول: «إذا لم نستيقظ من هجعتنا، ونعرف مقدارنا، ونتخرج في العلم على زعيمه، ظللنا لأهل الغرب أرقاء عسفاء والجاهل للعلم في كل زمان عبداً قن»^(٤٢). فلا مناص لنا إذاً من أن نلج أعتاب هذه الحضارة، ونتفاعل معها، وننهج نهجها، كي نسمو في معارج التقدم والمدنية. يقول: «تلكم مدينة الغرب، فالخير كل الخير في أن نعرفها، والشركل الشر في أن نجهلها، لأننا إذا عاديناها وهي السائدة الساطية، استعلتنا، وإذا ما نبذنا عليها حقرتنا، وهي مدنية قد غمرت الكرة الأرضية، فليس ثمة عاصم، وإن آويت إلى المريخ»^(٤٣).

ويندفع النشاشيبي بعد ذلك في مهاجمة من يقفون من المدنية الغربية موقف الاستنكار أو العداء: «فالعربي الذي يكره إلينا هذه المدينة، ويثلب علمها ونظامها وفنها، ويسخر من روادها لا يروم وحياتكم أن نحيا في هذا الوجود أو نسود، بل يريد أن نبعد أو أن نعود في الناس مثل العبيد، وهذا عدو، وما تمنى عدو لغيره خيراً»^(٤٤).

ويختتم النشاشيبي رسالته بحثاً العربي على الاقتداء بالغربي في علمه وفنه ونظامه واتقانه وإخلاصه لعمله، ثم يقرر في غير ما لبس ولا إبهام: «فإن أتيت يا أبا العرب فقد أحسنت إلى أمتك واعتزت بعد الذلة عربيتك، قد حملت هامتك عقلاً أوروبياً، كما أقل صدرك قلباً عربياً فانتعت بالنعتين، واستبددت بالمنقبتين، بل هما حصنان حصينان اعتصمت بهما فنجوت، وغادرت خزيان ينظر، ولو لم تكن لولاهما بالناجي»^(٤٥).

وإذا كانت الاستعارة من الغرب والإفادة من علومه سائغة ومشروعة في رأي النشاشيبي، فإن سبيلها وعر ودربها شائك، فالنهضة لا تأتي هبة أو منة من أحد، ولا تتيح لأحد أن يفتح مغاليقها أو يملك زمامها، ويستحوذ على أعنتها ما دام قابلاً لا يكف ولا يسعى، يقول النشاشيبي موازناً بين الشعب الألماني والشعب العثماني: «إن الألمان لم يبلغوا ما بلغوه وهم هاجدون نائمون ومنغمسون في النعيم مترفون، لا والله ما ظفروا بذلك كذلك، ولكن بحوادث وكوارث شابت لها الأطفال، ووقائع يوم الحروب تفلقت منها الجبال، ولم تتزلزل الأبطال من الرجال، ومدارس بنوها على أساس من الحقائق متين، وعلوم برزت على علوم المتقدمين وتضافر واتحاد وكدح ودأب وجد لا حظ من الدهر وجد»^(٤٦).

وهكذا يبدو النشاشيبي من دعاة العلم، فالعصر حسب رأيه عصر العلم: «فكل من لم يهتد به ضل، وكل من لم ينتهج نهجه زل، وكل من رجا النور في هذه الحياة بغيره خاب رجاؤه، وخسرت أمنيته ولم يربح»^(٤٧).

والعلم الحق في رأي النشاشيبي، وكما يجسده الواقع، وتنطق به الحقيقة «لن يلقاه في هذا العصر ناشده، ولن يجده رائده إلا في الإقليم الإفريقي، فإن أهل هذا الإقليم قد هجروا الكرى منذ قرون والمشاركة هاجدون»^(٤٨). ويضيف: «وما يقلقل من مكانة العربي، ويضحك منه خصيمه وخليله، إلا أن يجد المنهل العذب، وهو ملتهب الكبد فلا يرد، ويتنور مقتبس الأنوار، وقد دجا واحلوك، فلا يقتبس، فهذا الذي يشينه ولا يزينه، ويسخط الإنسانية ولا يرضيها، فاطلب العلم يا فتى ولو في الصين، ونقب عن الحكمة في كل مكان، وتلقفها من كل إنسان، والعق العسل، ولا تسل عن نحل»^(٤٩).

ربما توحى هذه الدعوة وما يشبهها أن صاحبها قريب من العلمانيين ودعاة التغريب، وليس كما نعته معاصروه بأنه من المحافظين التقليديين، ولكن الأمر في الحقيقة خلاف ذلك، فالرجل كما اتضح من مجمل مواقفه وآرائه ليس علمانياً تغريبياً، كما أنه ليس موقف المفكر التقليدي أو السلفي المنغلق، الذي تجمد على النصوص، وفقد إمكانية الحوار وإمكانية الأخذ والعطاء، بل هو موقف يرتكز في أساسه ومبناه على

قاعدتين رئيسيتين: المحافظة ثم التجديد.

فإذا كانت مواقف المثقفين تجاه المدنية الغربية تتراوح بين من يدعو الى التجديد الحر المطلق من كل قيد، ولو كان على حساب الثابت من القيم والمبادئ، وبين من يدعو إلى الحذر، ويعتمد الرفض المطلق لكل جديد ومستحدث أسلوباً ومنهجاً، فإن النشاشيبي يرفض هذه الثنائية، وهذا الخيار بين طريقتين لا ثالث لهما، ويؤكد أن هناك طريقاً يجمع بين أحسن ما في الطريقتين من جوانب الإبداع: الاعتماد أولاً على التراث، ثم الإفادة بعد ذلك من ثقافة العصر.

ولكن ربط الحاضر بالماضي يتطلب في رأي النشاشيبي بحثاً واستقصاء، وعقلاً كاشفاً، وملكة صافية، وإيماناً راسخاً، ووصل الحاضر بالمستقبل يقتضي عزيمة صادقة وإقداماً ماضياً وثورة جريئة، وهنا موطن التحدي امام المسلم المؤمن بدينه الحريص على دنياه.

خاتمة:

وبعد، فقد يكون صحيحاً أن النشاشيبي لم يقدم تصوراً نظرياً متكاملًا لعملية التجديد، ومواجهة الفكر الغربي الوافد، ولكن النتيجة الحقيقية أنه استطاع بموقفه الذي عرضته في الصفحات القليلة السابقة أن يغلق الباب بوجه محاولات نقد العقيدة، وأوجد في الوقت نفسه نوعاً من الاطمئنان النفسي خفف من حدة الشعور بالنقص تجاه الغرب، وبذلك استطاع أن يمنح الفكر العربي الإسلامي نظرة في عمق التجربة الحضارية، تقيه عثرات التقليد والتفوق في معطيات الحضارة الغربية، ونحن نرى في كتبه ومؤلفاته قيماً فكرية أصيلة، تفتح أمامنا آفاقاً فاعلة في حل بعض مشكلات الإنسان العربي المعاصر التي هي في جوهرها حضارية متشعبة الجذور والأبعاد.

الهوامش:

١. رَحَّبَ إسعاف مثله مثل كثير من الأدباء والشعراء في فلسطين وسواها من الأقطار العربية بصدور الدستور، وأمل فيه خيراً، يقول من قصيدة له مشيداً بالنصر الذي حققته الدولة العثمانية على اليونان:

لا تخافي من العدو اغتيا لا	أخطري اليوم في الربوع اختيالا
إن كيد العدو ولى وزالا	لاتخافي من كيده لا تخافي
للمعالي وصافح الأجيالا	أيها الشرق طال نومك فانهض
واعدُ للعلم مرقلاً إرقالا	أهجر الجهل والعماية هجرأ

انظر، د. إسحاق موسى الحسيني، أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي (القدس: مركز الأبحاث الإسلامية، ١٩٨٧م)، ص: ٦٦.

٢. د. ياسر أبو عليان، عصر إسعاف، من كتاب أبحاث عن أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، (القدس: مركز الأبحاث الإسلامية، ط ١، ١٩٨٧م)، ص: ٥ - ٦.

٣. د. تيسير الناشف، مفكرون فلسطينيون في القرن العشرين، (الناصرية: منشورات الطلائع، ط ٣، ١٩٩٩م)، ص ١٢ - ١٣.

٤. محمد إسعاف النشاشيبي، كلمة في اللغة العربية، (القدس: مطبعة دير الروم الارثوذكس، ط ٢، ١٩٢٥م)، ص: ٥٧.

٥. المصدر نفسه والصفحة نفسها.

٦. أ. د محمد عيسى صالحية، محمد إسعاف النشاشيبي، من كتاب دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والنشر، ٢٠١٠م)، ص: ٨١.

٧. انظر، د. إسحاق موسى الحسيني، أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، ص: ٥٦.

٨. محمد إسعاف النشاشيبي، الفيلسوف أمين الريحاني: قولان له في البلاغة، مجلة الرسالة، (مجلد ١٣، عدد، ٦٣٩، أول أكتوبر ١٩٤٥م)، ص: ١٠٥٤ نقلاً عن، د. اسحاق موسى الحسيني، أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، ص: ١٦.

٩. النشاشيبي، اللغة العربية والأستاذ الريحاني، (دمشق: مجلة الميزان الدمشقية، رمضان، ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م)، ص: ٣٣.

١٠. المصدر نفسه، ص: ٣٣، ٣٤.
١١. نفسه، ص: ٣٤.
١٢. أنظر أ. د. عبد الرحمن ياغي، أكتب عن رواد النهضة في فلسطين، (عمان: أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٥)، ص: ٢٣٤.
١٣. د. إبراهيم العلم، مدرسة اسعاف النشاشيبي في اللغة والأدب، مجلة آفاق، (رام الله: أكاديمية المستقبل للتفكير الابداعي، العدد الثالث، ١٩٩٩م)، ص: ١٠٠.
١٤. نفسه والصفحة نفسها.
١٥. النشاشيبي، كلمة في اللغة العربية، ص: ٩٥.
١٦. أ. د. حسن السلوادي، مواقف في حياة أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، (القدس: مركز الأبحاث الإسلامية، ١٩٩٩م)، ص: ٣٤.
١٧. اسحاق موسى الحسيني، أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، ص: ٤١ - ٤٢.
١٨. أ. د. حسن السلوادي، مواقف في حياة أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، ص: ٨٠ - ٨١.
١٩. النفائس العصرية، السنة الثانية، المجلد الثاني، ١٩١١م، ص: ٥٧٦، نقلاً عن، د. إسحاق موسى الحسيني، أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، ص: ٦٤.
٢٠. أ. د. ياسر الملاح، إسعاف مربيًا، من كتاب أبحاث عن أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، ص: ٧١.
٢١. المرجع نفسه، ص: ٨٥.
٢٢. محمد إسعاف النشاشيبي، مجموعة النشاشيبي، (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٣٤١هـ)، ص: ٣.
٢٣. أ. د. محمد عيسى صالحية، محمد إسعاف النشاشيبي، ص: ٤٣.
٢٤. مجلة الرسالة، القاهرة، السنة السادسة، عدد، ٢٨٣، (١٢ / ٥ / ١٩٣٨)، ص: ١٩٧٢.
٢٥. مجلة الرسالة، السنة السادسة، عدد، ٢٧١، (١٢ / ٩ / ١٩٣٨)، ص: ١٤٩٤.
٢٦. المرجع نفسه والصفحة نفسها.

٢٧. النشاشيبي، العربية في المدرسة، (القاهرة: مطبعة المعارف، ١٩٢٨م)، ص: ٤٢.
٢٨. المصدر نفسه، ص: ٤٤.
٢٩. انظر، كمال الريماوي، حياة محمد إسعاف النشاشيبي، من كتاب أبحاث عن أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، ص: ٣٧.
٣٠. خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تحقيق، د. المنصف الشنوفي، (تونس: الدار التونسية للطباعة والنشر، ١٩٧٢م)، ص: ٥٠.
٣١. هذا الوضع ليس قاصراً على المجتمع العربي، بل واجهته أيضاً كل المجتمعات التقليدية في مراحل تحديثها الأولى. انظر على سبيل المثال: الدكتور علي هلال، التجديد في الفكر السياسي المصري الحديث، (القاهرة، معهد البحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٧٥م)، ص: ٣١-٥٠، الدكتور اسحاق موسى الحسيني، أزمة الفكر العربي (بيروت: دار بيروت، ١٩٥٤م)، ص: ٦-٤٦.
٣٢. انظر على سبيل الموازنة، أ. د حسن السلوادي، الدكتور إسحاق موسى الحسيني بين الوفاء والذكرى، (الطيبة، مركز إحياء التراث العربي، ١٩٩١م)، ص: ٢١٢.
٣٣. المرجع نفسه، ٢١٤.
٣٤. محمد إسعاف النشاشيبي، مقام ابراهيم، (القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٣٥٤هـ)، ص: ٢٣-٢٤.
٣٥. المصدر نفسه، ص: ٢٤.
٣٦. انظر محمد علي مرحبا، أصالة الفكر العربي، (بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٢م)، ص: ١٥٦.
٣٧. الدكتور هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، (بيروت: دار النهار، ١٩٧٨م)، ص: ٣٥.
٣٨. محمد إسعاف، قلب عربي وعقل أوروبي، (القدس: مطبعة بيت المقدس ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م)، ص ٣-٤.
٣٩. المصدر نفسه، ص ١٣.
٤٠. محمد إسعاف النشاشيبي، البطل الخالد صلاح الدين والشاعر الخالد أحمد شوقي، (القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٣٢م)، ص: ١٠٩ وما بعدها.

٤١. المصدر نفسه، ص: ١١٢.
٤٢. محمد إسعاف النشاشيبي، كلمة موجزة في سير العلم وسيرتنا معه، (القدس: مطبعة دير الروم الأرثوذكس ١٣٤٠ هـ)، ص: ١٣ - ١٤.
٤٣. محمد إسعاف النشاشيبي، قلب عربي وعقل أوروبي، (القدس: مطبعة بيت القدس ١٣٤٢ هـ)، ص: ٥.
٤٤. المصدر نفسه، ص: ١٣.
٤٥. المصدر نفسه والصفحة نفسها.
٤٦. انظر، أ. د. عبد الرحمن ياغي، أكتب عن رواد النهضة في فلسطين (عمان: أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٥ م)، ص: ٢٤٥.
٤٧. المرجع نفسه، ص: ٢١٦.
٤٨. محمد إسعاف النشاشيبي، كلمة موجزة في سير العلم وسيرتنا معه، ص: ١٤.
٤٩. المصدر نفسه، ص: ١٨.

المصادر والمراجع:

أولاً- الكتب:

١. التونسي، خير الدين، أقوم المسالك في معرفة الممالك، تحقيق، د. منصف الشنوفي، تونس: الدار التونسية للطباعة والنشر، ١٩٧٢م).
٢. الحسيني، أ. د. إسحاق موسى، أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، (القدس: مركز الأبحاث الإسلامية، ١٩٨٧).
٣. الحسيني، أ. د. إسحاق موسى، أزمة الفكر العربي، (بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٥٤م).
٤. السلوادي، أ. د. حسن عبد الرحمن، مواقف في حياة أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، (القدس: مركز الأبحاث الإسلامية، ١٩٩٨م).
٥. السلوادي، أ. د. حسن عبد الرحمن، الدكتور إسحاق موسى الحسيني بين الوفاء والذكرى، (الطبية: مركز إحياء التراث العربي، ١٩٩١م).
٦. شرابي، د. هشام المثقفون العرب والغرب، (بيروت: دار النهار، ١٩٧٨م).
٧. صالحية، أ. د محمد عيسى، وآخرون، دراسات في التراث الثقافي لمدينة القدس، تحرير، د. محسن محمد صالح، (بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والنشر، ٢٠١٠م).
٨. العلم، د. إبراهيم، مدرسة إسعاف النشاشيبي في اللغة والأدب، مجلة آفاق، (رام الله: أكاديمية المستقبل للتفكير الإبداعي، ١٩٩٩م).
٩. أبو عليان، وآخرون د. ياسر، أبحاث عن أديب العربية محمد إسعاف النشاشيبي، (القدس: مركز الأبحاث الإسلامية، ١٩٨٧م).
١٠. مرحبا، محمد علي، أصالة الفكر العربي، (بيروت: منشورات عويدات، ١٩٨٢م).
١١. الناشف، تيسير، مفكرون فلسطينيون في القرن العشرين، (الناصرية: منشورات الطلائع، ط٣، ١٩٩٩م).
١٢. النشاشيبي، محمد إسعاف، البطل الخالد صلاح الدين، والشاعر الخالد أحمد شوقي، (القدس: مطبعة بيت القدس، ١٩٣٢م).
١٣. النشاشيبي، محمد إسعاف، العربية في المدرسة، (القاهرة: مطبعة المعارف، ١٩٢٨م).

١٤. النشاشيبي، محمد إسعاف، الفيلسوف أمين الريحاني: قولان له في البلاغة، مجلة الرسالة، (مجلد ١٣، عدد ٦٣٩، أول أكتوبر، ١٩٤٥ م).
١٥. النشاشيبي، قلب عربي وعقل أوروبي، (القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٣٤٢ هـ).
١٦. النشاشيبي، كلمة موجزة في سير العلم وسيرتنا معه، (القدس: مطبعة دير الروم الأرثوذكس، ١٣٤٠ هـ).
١٧. النشاشيبي، اللغة العربية والأستاذ الريحاني، (دمشق: مجلة الميزان، رمضان ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٥).
١٨. النشاشيبي، محمد إسعاف، كلمة في اللغة العربية، (القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٩٢٥ م).
١٩. النشاشيبي، مجموعة النشاشيبي، (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٣٤١ هـ).
٢٠. النشاشيبي، مقام إبراهيم، (القدس: مطبعة بيت المقدس، ١٣٥٤ هـ).
٢١. هلال، د. علي، التجديد في الفكر السياسي المصري الحديث، (القاهرة: معهد البحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٧٥ م).
٢٢. ياغي، أ. د. عبد الرحمن، أكتب عن رواد النهضة في فلسطين، (عمان: أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٥ م).

ثانياً الدوريات:

١. مجلة آفاق، (رام الله: أكاديمية المستقبل للتفكير الإبداعي، ١٩٩٩ م).
٢. مجلة الرسالة، (القاهرة: مجلد ١٣، عدد ٦٣٩ أول أكتوبر ١٩٤٥ م).
٣. مجلة الميزان الدمشقية، (دمشق، رمضان ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٥ م).
٤. مجلة النفائس العصرية، السنة الثانية، المجلد الثاني، ١٩١١ م.

